سعاد العطار

تتحدث عن فنها

اعداد: ماجد السامرائي

التقيت برسوم « سعاد العطار » أكثر من مرة.. وقرأت عنها كلمات عمقت ما تركته رسومها في نفسي من آثار طيبة . ومن خلال ذلك ، تأكدت لي بشكل كلي ملامح وسمات شخصية فنانة ، تتعامل مع مواضيعها باخلاص كبير ، حتى لتجعل من إنجازاتها الفنية طاقات هائلة من تفجر حي يحتدم فيه الفعل والحركة .

وقد اجتذبني في أعمال « سعاد » الفنية ، هذا التركيز المخلص على الواقع الذي يحياه مجتمعنا ، بكل دقائقه ، والاهتمام البالغ بشؤونه ، ومحاولتها الدائبة لعكس مظاهر شتى من أوضاع الانسان فيه ، بتجسيد همومه الذاتية والانسانية، ومشاكله المجتمعية.

عندما نظرت اليها من هذه الزاوية ، وبهذا البعد ، رأيت أنها فنانة شديدة الاخلاص لواقعها ، عميقة الصلة بمجتمعها ، فكانت رسومها ذات أبعاد عميقة الصلة بالحياة والناس فى محيطها .

حائرة

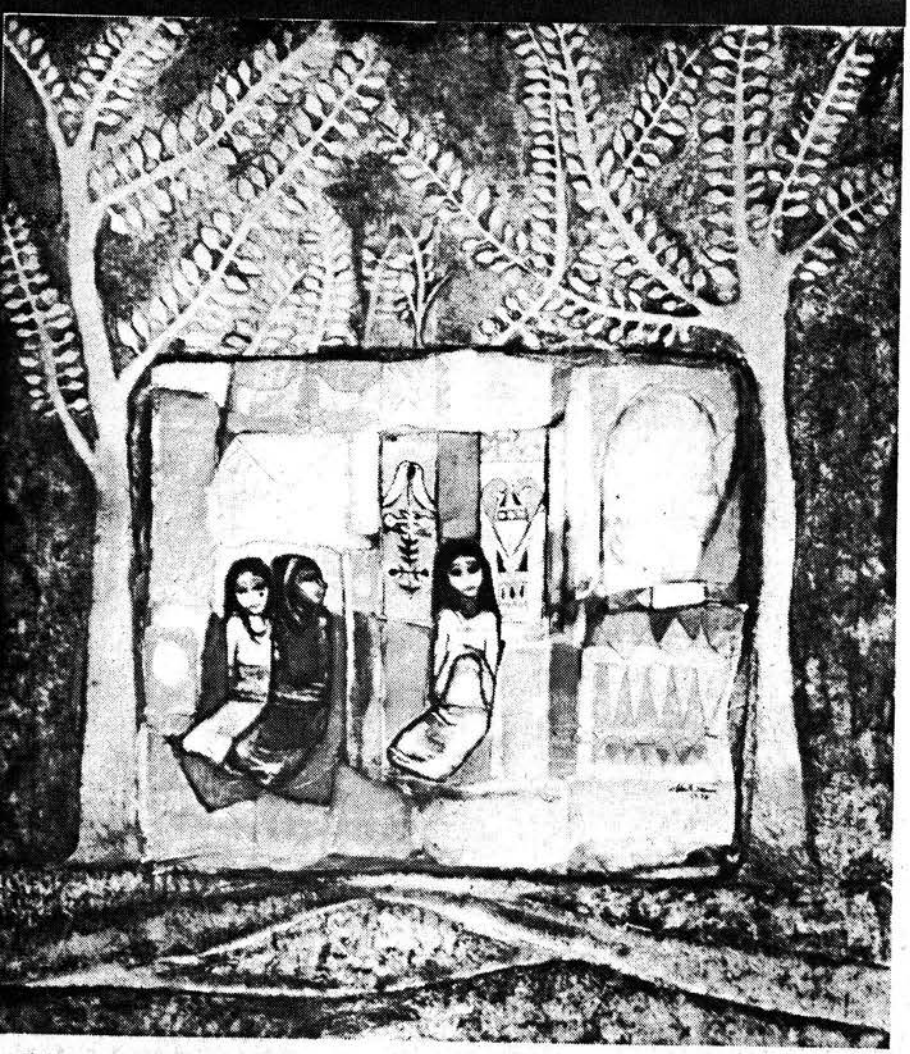

في يوم ذي أصيل رائع من أيام بغداد ، كنت على موعد معها.. وفي بناية «جمعية الفنانين العراقيين» التقينا . . كانت بسيطة في حديثهـا . . في لهجتها . . تحدثنا عن الفن ، وعن فنها بالذات . . . ثم أردت أن يثمر هذا اللقـاء حصيلة أستطيع أن أقدمهـا الى القراء . . فكانت أسئلة ، وكانت أجوبة عنها ، عبرت عن نفسها من خلالها، وعكست بعض آرائها في الفن، والحياة الفنية الراهنة في العراق .

° ° °

* في حياة كل فنان تجربة تشكل امتدادا متواصلا لأعماله بحيث تترك مميزاتها وخصائصها واضحـة في ما ينتج . فهل هناك تجـربة ترين أن تأثيرها لا يزال كبيرا في حياتك الفنية ؟

ـــ لا شك ان الفنان ، بطبيعته ، انســان مرهف الشعور والاحساس . . وتحسسه للمؤثرات ، سـواء منها الخارجي او النفسي، يكون اكثر ممـــا هو عند غيره . . . ومن هنا فان هذه المؤثرات يمكن أن تكون تجارب ذات أبعاد خاصة في أعماله .

وبقدر ما يتعلق الأمر بي، فـانني لا اتمكن من القول بأن هناك تجربة واحدة لا يزال تأثيرها آخذا مجراه في حياتي الفنية . . وانما هناك تجارب اعيشها، ومشاهدات يومية تنطبع في ذهني وتنعكس في أعمالي . . والانسان هو محور تجاربي ، فأنا اهتم به كثيرا .

* ما هي القيمة التشكيلية الحقيقية التي تحـاولين دائما ابراز مظاهرها في انجازاتك الفنية ؟

ـــ أتمكن من القول بأن الانسان هو محور أعمالي الفنية . . المرأة بصورة خـاصة . . فهي ، في أعمالي ، تظهر سجينة ظروفهـا الاجتماعية ، فريسة لمعتقدات وأفكار توارثها المجتمع عن سنين الانحطـــاط والتدهور . . فهي واقعة تحت عبء هـذه المؤثرات القاسية.. ولهذا ، فأن المرأة في لوحاتي تبدو مستكينة خانعة، خاضعة لظروفها، بشكل أو بآخر.. وحيدة في مجابهة أزماتها، صامتة تجاه ماهي فيه. فالأب أو الأخ أو الزوج . . أو بكلمة : الرجل هو السيد، وهي صابرة تحت رحمتهم، يحيط بها عالم خاص كأنه كهف معتم.

وعلى الرغم من المظاهر التي تغلف مظهر المرأة الخارجي في لوحاتي ، فهي بائسة ، كئيبة ، حـزينة . . خلاصها في الانتظار.. إنها تبدو وهي تحاول الخلاص جاهدة ، من خلال تعويض بؤسها وشقائها بألوان خداعة كاذبة تظهر في ملابسها وفي النقوش التي تؤطر

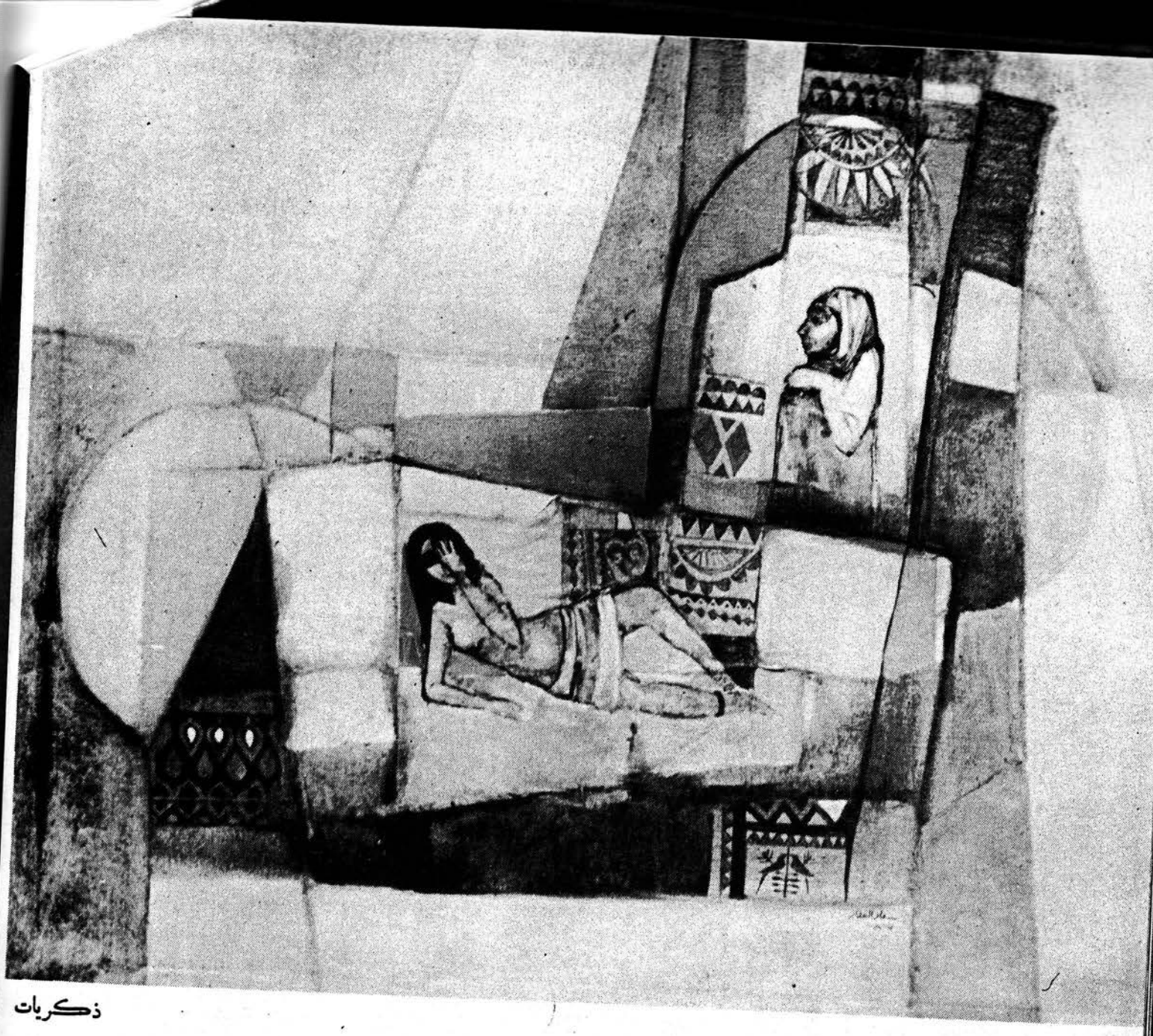

كل شيء تمتلكه، وفي كل ما يحيط بها.. في صندوق ملابسها . . في حليها وشبابيك بيتها . وهذا هو البعد النفسي الذي أحاول ان اضفي معالمه على رسومي من خلال ايجاد نوع من التضاد : بين العالم الخارجي المحيط بها ، وبين ما يكمن في نفسها من تطلع ترمز له بهرجة عالمها الخارجي .

* الى أي مدى تؤمنين بالتلقائية في العمل الفني ؟

ـــ الشيء الذي أراه بهذا الخصوص ، هو ان هناك فرقاً شاسعا بين التلقائية المدروسة ، وبين العفوية ... فالعمل الفني الناضج يجب ان يجمع بين العمل المدروس ، والعفوية التي تنبعث عن اللا شعور . . . وهذا المفهوم يكاد يسري على جميع أعمالي ، وابعاده واضحة المعالم فيها .

* الانسان في لوحاتك . . أين يجد خلاصه ؟

ـــ الانسان في لوحاتي حبيس ظروفه . . الأطفال ضائعون في متاهات أحلامهم ومخاوفهم . . احلام الأطفال تتمثل عندي في العصافير والورود . . فهي أحلام تنطلق من رأس الطفل الصغير ، فأنا أرى الأطفال وكأنهم يحملون أحلامهم بأيديهم وهم واقفون تحت شجرة، او في داخلها .. تراهم مستكيني الروح والجسم ، حبيسي مخاوفهم . . ان الاطفال في لوحاتي واقعون، دائماً ، فريسة لما يحيطهم به عالمهم الخارجي من مخاوف . . ان ارواحهم تنطلق ، أحيانا ، مع أحلام ، ولكن هذه الأحلام حبيسة المخاوف أيضا.. ان خلاصهم بأحلامهم . . وما أحلاها !

أما المرأة ، فهي ضائعة ، ساكنة ، وحيدة في عالم تتحكم فيه العقائد والأفكار المتوارثة . . ولهذا فأنا كثيرا ما أظهرها بشكل أبرز من خلاله معالم الانتظار الذي يملأ نفسها لاصلاح وضعها الاجتماعي، بترقب يتضح في ملامحها الساكنة .

* لماذا ، ولمن ترسمين ؟

ـــ لم أسائل نفسي هذا السؤال من قبل ، ولم يخطر ببالي مرة الاجابة عنه ... كنت أرسم قبل أن اعرف الكتابة . . إذ انني وجدت نفسي في محيط عائلي اهتم بتشجيع هذه القابلية لدي ، حتى اصبح الرسم جزء مني .

بعد هذا، لا أريد أن أقول انني أرسم لكي انقل انفعالي الى شكل موجود، أو أعبر عن كوامن نفسية ، او أجسد رؤيا داخلت ذاتي . . بل ان الرسم ، مهما

تعددت دوافعه ، هو جزء مني . . انه عندي اكثر من رغبة او تسلية او وسيلة لملء الفراغ .

* الفن الراهن في العراق . . هل استطاع ان يؤكد شخصيته العراقية ؟ وبالنسبة لك ، في أي شـيء تتجلى ملامح هذه (الشخصية) ؟

ـ أتمكن من القول بأن الفن في العراق قد استطاع الى حد ما ، أن يؤكد شخصيته العراقية .

ربما يرى كثير من المعنيين بشؤون الفن ان ملامح هذه الشخصية غير متميزة بقدر ما هي عملية نقل أفكار عن فنانين آخرين . . . ويرون ، من هذه الزاوية ، أن الفنان العراقي غير مستقل الشخصية من من جراء إعادته أفكار غيره بأسلوبه . الا انني ارى ان هذا لا يعيب الفن العـراقي في شيء . . . فمهما تكن المحاولات ، فالنتيجة هي صهر هذه الأساليب في سبيل خلق او إيجاد ملامح شخصية أصيلة للفن العراقي ، ولو بطريقة غير متعمدة .

أما بالنسبة لي ، فان ملامح هذه الشخصية تتجلى في التوافق الباطني الذي يلاحظ في أعمـال معظم الفنانين . فالمواضيع الشعبية ، وإظهـار معالم البيئة العراقية وطبيعة حياة الانسان فيها ، بشكل أو بآخر كلها ملامح حقيقية واضحة تؤكد هذه الشخصية .

ومهما تنوعت أساليب الفنـانين العراقيين او امتدت الى جذور أوربية ، فان شـيئاً جوهرياً يبقى يميز هذه الأعمال ، ذلك هو « الاحساس » الذي يوجد نوعاً من التماسك الدائم بينهم وبين أعمالهم ، فيضفي عليها لمسات شعورية تكاد تكون سـمة الفن العراقي الذي لا يزال في أوائل مراحل التطور والخلق .

* هل الفن عنـدنا في العراق استطاع ان يتخطى الحدود ويتجاوز المسارات الرتيبة ، أم أنه لا يزال يرزح تحت وطأة أزمة تعيق تقدمه وتطوره ؟

ـ أرى أنه من الصعب القول بأن الفن الراهن في العراق استطاع أن يتخطى الحدود ، ولكنه ، الى حد ما ، تخطى المسارات الرتيبة . وأعتقـد أنه يمر الآن بمرحلة تطـور أكيدة . . . وكما في أية مرحلة تطور لأي عمل فني ، لا بد من وجود أخطاء ، إلا ان هذه الاخطاء ليست شيئاً ثابتـا ، وانما هي عوارض وقتية يمكن ازالتها ومحو آثارها بمجرد التغلب عليها .

أرى أن هناك أزمة قلق تغلف الفن في العالم ، ونتائج هذا القلق تنعكس بما نراه من تسفيه لمعاني الفن . وابتعاد عن كل ما يربط الشعور الانساني باللوحة الفنية . أن هذه الأزمة هي التي تجعل فننا في هذا اليوم في حالة قلق بعد زخم .

ان هذا القلق اكثر ما تبـدو ظواهره لدى فناني أوربا ، وليس ذلك راجع الى يبتهم الضائعة القلقة ، كما قد يظن البعض فان العالم واحد مهمـا تغيرت الأماكن . . وانما مصدر هذا القلق في نفوسهم متأت من الاحساس بأن جميع الاساليب الفنية قد طرقت وانتهت ولم يبق الا الفراغ . . ولكن هذا النوع من الفراغ مدروس ، جاء نتيجة تجارب . وخطورة هذا النوع من الفراغ بدأت تؤثر على الفنـانين الذين لم يعانوا تجارب فنية وثيقة الصلة بهم ، فجاءت لوحاتهم بعيدة عن التجربة ، مفتقرة الى أبسط عناصرها .

أما في العراق ، فان الفن يمر بمرحلة قلقـة وسريعة من التطور هي بمثابة غربلة للأعمال الفنية . فالعمل الناجح سيتم له البقاء ، والزمن هو الذي يقرر دوام وتأكيد نوعية الأعمال .